Al-AZHAR UNIVERSITY
S.A. KAMEL CENTER
FOR ISLAMIC ECONOMICS

جامعة الأزهر
مركز صالح عبد الله كامل
للاقتصاد الإسلامي

مؤتمـــــر

رعاية وتنمية الثروة الحيوانية
في الحضارة الإسلامية والنظم المعاصرة

في الفترة من ٨-١٠محرم ١٤٢٥هـ الموافق ٢٨ فبراير- ١ مارس ٢٠٠٤م

الحيوان والتوازن البيئي

إعـــــداد

الأستاذ الدكتور/ محمد حسين قنديل

أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر
ورئيس قسم الفقه المقارن والسياسة الشرعية
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت

مدينة نصر- القاهرة – جمهورية مصر العربية تليفون ٤٠٣٧٥١٤-٢٦١٠٣٠٨ - ٢٦١٠٣١١ - تليفاكس ٢٦١٠٣١٢
Nasr City, Cairo, Egypt, Tel.: 4037514-2610308 - 2610311, TelFax: No. 2610312
www.SAKC.gq.nu E-mail: salehkamel@yahoo.com

المقدمـــــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـــــد،،

فإن الحق تبارك وتعالى سخر للإنسان الحيوانات لينتفع بها، قال تعالى: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وجعل لكم مـــن الفلـــك والأنعام ما تركبون﴾[٢].

وتظهر أهمية الحيوان للإنسان أنه يأكل لحمه، ويشـــرب لبنـــه، ويصـــنع الملابـــس والأغطية من صوفه ووبره، ويستعمله في حمل الأثقال والمتاع من مكان إلـــى آخـــر، ولقـــد تحدث القرآن الكريم عن هذه النعم الجليلة وغيرها التي ينتفع بها الإنسان من الحيـــوان، فقـــال تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حـــين تريحـــون وحين تسرحون. وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفـــس إن ربكـــم لـــرؤف رحيم. والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون﴾[٣]. وقال تعالى أيضـــاً: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فـــرث ودم لبنـــاً خالصـــاً ســـائغاً للشاربين﴾[٤] وقال الله أيضاً: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلـــود الأنعـــام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعـــاً إلـــى حين﴾[٥].

وقوله: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مـــا دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾[٦].

وقوله: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشـــيطان إنه لكم عدو مبين﴾[٧].

---

(١) سورة يس الآية: (٧١).
(٢) سورة الزخرف الآية (١٢).
(٣) سورة النحل الآية (٥ – ٨).
(٤) سورة النحل الآية (٦٦).
(٥) سورة النحل الآية (٨٠).
(٦) سورة المائدة الآية (٩٦).
(٧) سورة الأنعام – الآية ١٤٢.

وقوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾[1].

وقوله: ﴿كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾[2].

وقوله: ﴿أمدكم بأنعام وبنين﴾[3].

وقوله: ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾.

وقوله: ﴿الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾.

وقوله: ﴿وأمددناكم بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾.

وعلى ذلك فإن نعم الله كثيرة لا تعد ولا تحصى. قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.

ففي المحافظة على الحيوان محافظة على البيئة، ومحافظة على الإنسان، وذلك بتأمين مطعمه وملبسه ومشربه.

مفهوم التوازن البيئي:

في اللغة[4]:

توازن الشيئان: تساوياً في الوزن، الاتزان في الميكانيكا: تعادل القوى المؤثرة في جسم بحيث لا تتغير حركته أو سكونه.

وفي الاصطلاح[5]:

يعني: " بقاء عناصر أو مكونات البيئة الطبيعية على حالها كما خلقها الله – سبحانه وتعالى _ دون تغيير جوهري يذكر "، فمن الثابت والمعروف أن الله خلق الإنسان وكل ما يحيط به من ظاهرات أو مكونات حية أو غير حية، وكل ذلك يمثل البيئة الطبيعية التي أحكم الله خلقها، وأتقن صنعها كماً ونوعاً ووظيفة، قال تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾[6].

---

(١) سورة النحل – الآية ٦٨.

(٢) سورة طه – الآية ٥٤.

(٣) سورة الشعراء – الآية ١٣٣.

(٤) المعجم الوجيز ص ٦٦٧.

(٥) البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث . محمد عبد القادر الفقي. ص ٢٨ – ٢٩.

(٦) سورة النمل الآية ٨٨.

وقد أوجد الله هذه البيئة بمكونات ذات مقادير محددة. وبصفات وخصائص معينة، بحيث تكفل لها هذه المقادير وهذه الخصائص القدرة على توفير سبل الحياة الملائمة للبشر، وباقي الكائنات الحية الأخرى التي تشاركه الحياة على الأرض. قال تعالى: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾[1]. أي أن كل شئ من الأشياء التي من جملتها الأشياء المذكورة عند الله سبحانه وتعالى بمقدار، والمقدار هو القدر الذي قدره الله فكل الأشياء جارية على قدر الله، فكل شئ عند الله سبحانه وتعالى له قدر واحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه فالله يعلم كميته وكيفيته وزمنه ومكانه وسائر أحواله، ويعلم ما غاب عن الحواس وما يشاهد بها أو السر والعلانية.[2]، وقال جل شأنه ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[3]، أي مقدراً محكماً مستوفي فيه ما تقتضيه الحكمة التي عليها مدار التكوين فكل شئ له مقداراً محدداً مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، وقوله تعالى: ﴿إنا كل شيء﴾ قراءة عامه (كل) بالنصب والنصب أدل على العموم في المخلوقات لله تعالى"[4].

وقوله تعالى: ﴿فقدره تقديرا﴾ فقدره وهيأه لما أراد منه من الخصائص والأفعال «كتهيئة الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبير وإستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة إلى غير ذلك. أو فقدره للبقاء إلى أجل مسمى»[5]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾[6]. أي أن الله تعالى منفذ أحكامه في خلقه بما يشاء، وقد جعل لكل شئ مقداراً ووقتاً، فالأمور مرهونة بأوقاتها، ومقدرة بمقادير خاصة، كما في قوله تعالى: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾[7]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه في الأرض﴾[8]، (بقدر) أي بتقدير منا لاستجلاب منافعهم، ودفع مضارهم، أو بمقدار مايكون به صلاح الزرائع والثمار والشرب، فإنه لو كثر لكان به هلاك ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾[9].

---

(١) سورة الرعد الآية ٨.
(٢) التفسير الكبير، للفخر الرازي – ١٣/١٩.
(٣) سورة القمر – الآية ٤٩.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٤٧/١٧ – ١٤٨.
(٥) تفسير البيضاوي ٤٠/٩.
(٦) سورة الطلاق الآية ٣.
(٧) تفسير المراغي ١٤٢/٣٠.
(٨) سورة المؤمنون الآية ١٨.
(٩) تفسير فتح البيان ٢٧٤/٦.

فإذا حدث أي نقص أو تغير جوهري في أي عنصر من عناصر البيئة اضطرب توازنها بحيث تصبح غير قادرة على إعالة الحياة بشكل عادي.

ومن العوامل الرئيسية التي تتسبب في اضطراب التوازن البيئي: التلوث.

ويعد التلوث إحدى صور الفساد الذي يتسبب فيه الإنسان نتيجة لإخلاله بتوازن النظم البيئية[1].

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن الفساد الذي يحدثه الإنسان في الأرض. والحديث عن التلوث والفساد ليس هنا وإنما في موضع آخر.

(١) البيئة لمحمد عبد القادر الفقي ص ٢٨ – ٢٩.

المطلب الأول

في

موقف الإسلام من الثروة الحيوانية

اهتم الشارع الإسلامي بالحيوان والمحافظة عليه فأمر بعدم تجويعه أو تعذيبه أو اتخاذه غرضاً وهدفاً، كما وردت نصوص كثيرة تدعو إلى الرفق به، واعتبرت إطعامه أو سقيه من أسباب الغفران ودخول الجنة، كما جعلت تعذيبه أو تجويعه من أسباب العقاب في الآخرة.

وإليكم بعض ما ورد عن ذلك في السنة النبوية المطهرة:

١ - أخرج البخاري ومسلم عن سعيد بن جبير قال: " مرّ ابن عمر – رضي الله عنهما – بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً أو دجاجة يترامونها، وقد جعلوا لصاحبها كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً[١].

٢ - وأخرج مسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً»[٢].

٣ - وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رجلاً أضجع شاة وهو يحد شفرته فقال النبي ﷺ «أتريد أن تميتها مرتين، هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها» رواه الطبراني في الكبير والأوسط والحاكم واللفظ له وقال: صحيح على شرط البخاري[٣].

٤ - عن سهل بن الحنظلية ﷺ قال: مر رسول الله ﷺ ببعير قد لَصِقَ ظهرُه ببطنه «من شدة الجوع» فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة» رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحه إلا أنه قال: قد لَحِق ظهره ببطنه[٤].

٥ - عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[٥].

---

(١) جامع الأصول لابن الأثير ٣١٩/١١ حديث رقم ٣١٨٢، الترغيب والترهيب للمنذري ٢٠٥/٣.
(٢) جامع الأصول لابن الأثير ٣١٩/١١ حديث رقم ٣١٨١.
(٣) الترغيب والترهيب للمنذري ٢٠٤/٣.
(٤) الترغيب والترهيب للمنذري ٢٠٩/٣.
(٥) البخاري ٧٥/١ رقم (١٧١)، ٨٧٠/٢ رقم (٢٣٣٤)، مسلم ١٥٥٠/٣ رقم (١٩٥٩).

وهناك نصوص كثيرة تدعو إلى الرفق بالحيوان، ففي الصحيح: «في كل كبد رطبة أجر»[١] بل إن الإحسان إلى الحيوان قد يكون سبباً في دخول الجنة – كما في قصة الرجل الذي نزل بئراً وسقى كلباً كان يلهث من العطش فجازاه الله على ذلك بدخول الجنة[٢]–، كما أن القسوة على الحيوان وتعذيبه ظلم قد يكون سبباً لدخول النار، وفي الصحيحين: «عذبت إمرأة في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[٣]. وقد نهى الإسلام عن سب الدابة[٤].

وليس هذا فحسب، بل إن الرفق بالحيوان يمتد إلى الرفق به عند الانتفاع – ركوباً أو حملاً أو حتى ذبحاً، قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»[٥].

ونهى رسول الله ﷺ أن يقتل شيء من الدواب صبراً[٦].

وقال صلى الله عليه وسلم: عندما رأى جملاً هائجاً يتألم: «من صاحب هذا الجمل؟» فجاء رجل من الأنصار فقال: إنه لي يا رسول الله، قال: «أفلا تتق الله».

في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه اشتكى إليّ أنك تجيعه وتدئبه[٧].

وكانت عائشة – رضي الله عنها – عندما كانت مع النبي ﷺ في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يميناً وشمالاً فقال لها: «يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»[٨].

ثم جاء الفقهاء المسلمون بعد ذلك ليدونوا ما يتعلق بأمور الحيوان وفق توجيهات الشارع، فتحدثوا عن الرفق بالحيوان، وعدم تحميله فوق طاقته، وعن النفقة عليه والوصية

---

(١) رواه البخاري. فتح الباري (٤١/٥).
(٢) فتح الباري (٤٠/٥).
(٣) تفسير القرطبي (٣٥/٧)، والنووي على مسلم (١٤٧/١٦).
(٤) فتح الباري (٤١/٥).
(٥) أخرجه مسلم (١٥٤٨/٣) رقم (١٩٥٥).
(٦) أخرجه مسلم (١٥٥٠/٣) رقم (١٩٥٩).
(٧) رواه الترمذي في سننه رقم (٧٥٢)، وأبو داود رقم (٢٦٠).
(٨) رواه أبو داود في سننه (٢٥٥/٤) رقم (٤٨٠٤)، وأحمد في مسنده (١٢٥/٦) رقم (٢٤٩٨٢).

له[١]. وإذا كان صوفه يدفئه فإنه يجزّه[٢]، وعن حكم الجناية على الدابة، وإحراقه، أو تعذيبه وحبسه[٣]، وعن أضرار الحيوان، وتلويثه للطريق العام[٤].

وفي كنز العمال: باب خاص بالحيوانات هو: باب فضائل الحيوانات.[٥]

ويتضح مما سبق أن إطعام أي بهيمة أو سقيها، أو أي كبد رطبة يثاب العبد على ذلك الثواب العظيم عند الله، وهذا يظهر مدى اهتمام الإسلام بالحيوان، وأنه سبق في اهتمامه جمعيات الرفق بالحيوان التي ظهرت حديثاً في شتى أنحاء العالم.

(١) حاشية إبن عابدين (٤٢٥/٥، ١٨/٢).
(٢) المجموع للنووي (٢٦٢/٨).
(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٣٧٤ – وقليوبي وعميرة (١٨٧/٣، ٩٤/٤).
(٤) تحصيل الطريق، ص ١٢٠ وابن عابدين (٣٨٦/٥).
(٥) كنز العمال (٣٢٣/١٢).

المطلب الثاني

في صور التوازن البيئي

لقد جعل الله التوازن في كل شئ بدءاً من سلوك الإنسان وانتهاء بالكون وعناصره وأنظمته. والتوازن البيئي هو جزء من التوازن الكوني الكبير، وسنتحدث عن التوازن البيئي من منظور إسلامي لنطلع على عظمة الإسلام وقدرة الخالق وحكمته في إبداع خلقه سبحانه وتعالى، وذلك من خلال الفروع الآتية:

الفرع الأول

التوازن زينة وجمال ومتعة

تناول التصور الإسلامي البعد الجمالي للبيئة وللتوازن البيئي بعد أن أكد على أن عناصر البيئة وموجوداتها هي من النعم التي أنعمها الله على الإنسان وسخرها له، فمن تمام النعمة هو تغذية الروح والنفس وإمتاعها ليتم التوازن النفسي والروحي مع المادي والعقلي والجسدي فتستقيم الحياة.

لفتت النصوص القرآنية نظر الإنسان إلى البعد الجمالي لمظاهر البيئة ومظاهر التوازن البيئي وطلبت منه الاستمتاع بهذا الجانب.

قال تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾(٣).

ففي هذه الآيات تنبيه للإنسان إلى استشعار مظاهر جمال البيئة المختلفة، والإحساس بما تنطوي عليه أشكالها وألوانها وحركاتها المختلفة من متعة تثير النفس، وتبعث فيها البهجة والراحة، سواء في هيئتها الذاتية، وشكل خلقتها الفردية، أو في تناغمها مع باقي مكونات البيئة

---

(١) سورة النحل الآية (٨).

(٢) سورة النحل الآية (٦).

(٣) سورة النحل الآية (١٤).

التي ترسم مشاهد مثيرة ومناظر بديعة، قال تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود* ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾[1].

ويعلق الشيخ سيد قطب على هذه الآية قائلاً: " واللفتة إلى ألوان الصخور وتعددها وتنوعها داخل اللون الواحد بعد ذكرها إلى جانب ألوان الثمار، تهز القلب هزاً وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي[2] ...

إن عنصر الجمال يبدو مقصوداً قصداً في تصميم هذا الكون وتنسيقه، ومن كمال هذا الجمال أن وظائف الأشياء تؤدى عن طريق جمالها. هذه الألوان العجيبة في الأزهار تجذب النحل والفراش مع الرائحة الخاصة التي تفوح، ووظيفة النحل والفراش بالقياس إلى الزهرة هي القيام بنقل اللقاح لتنشأ الثمار، وهكذا تؤدي الزهرة وظيفتها عن طريق جمالها ". وقد صرح القرآن الكريم بأن خلق مظاهر الطبيعة على هذه الصورة الجميلة أمر مقصود، ويبدو ذلك واضحاً في قوله تعالى: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾[3]. وغيرها من الآيات التي تؤكد أن عناصر البيئة ليست تراكمات مادية جامدة، وإنما هى بالإضافة إلى المنفعة المادية التي توفرها للإنسان مصدراً للإشباع الروحي بالتأمل في جمالها وتغذية الروح بمشاهدها.

(١) سورة فاطر الآية (٢٧ – ٢٨).
(٢) ظلال القرآن ٥/٢٩٤٣.
(٣) سورة النحل الآية (٦)

الفرع الثاني

في التقدير والهداية

من صور التوازن البيئي في الشريعة الإسلامية أن الله خلق المواد والعناصر بمقادير محددة ونسب دقيقة، وخلق كل شئ بقدر وحساب، قال تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾(١). وقال أيضاً: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾(٢).

وهذا يدل على أن كل شيء مقدر معلوم في علم الله تعالى، ومأخوذ في الحسبان زيادة الطلب على الأشياء بزيادة الاستهلاك وزيادة المستهلكين على اختلاف الزمان والمكان.

ويدل قوله تعالى: ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها﴾(٣). على أن الله تعالى عندما خلق الأرض قدر فيها أقواتها وأرزاقها، أي حدد قوت البشر والدواب والنبات وغيرها من الأرزاق، حيث حدد مقدارها ومكانها وزمانها.

وفي الآية لفتة جمالية وهي كلمة (وبارك فيها) أي جعل البركة في الرزق والقوت والمقادير، فعلى محدودية هذه المقادير فهي تكفي البشر وتسد حاجتهم مهما كثر عددهم وزاد استهلاكهم، فإن البركة كفيلة باكتفائهم من الطعام.

وتقديم البركة على التقدير والتحديد في هذه الآية يدل على أن البركة عنصر حاسم ومهم في التوازن البيئي، وعنصر أساسي في التنمية المستمرة، كما أن البركة لا يتحصل عليها إلا من يستحقها، واستحقاقها إنما يكون نعمة من الله يجب المحافظة عليها بشكرها وعدم إتلافها أو الإسراف في استهلاكها.

أي أن استحقاق الإنسان البركة مرهون بالعمل بمنهج الله، أما إذا خالف المنهج وتنكب عن الطريق فستنزع البركة من القوت، ولن يكفي القوت الناس مهما كان وفيراً أو كثيراً.

ومن صور التوازن البيئي أيضاً في الإسلام أن الحق تبارك وتعالى قدر كل شيء خلقه ثم هدى، أي أنه سبحانه وتعالى جعل لكل مادة من المواد أو عناصر البيئة نظاماً وناموساً متوازناً تسير فيه بانتظام، ثم ربط كل هذه العناصر والموجودات بنظام أكبر وبتوازن

---

(١) سورة القمر الآية (٤٩).

(٢) سورة الفرقان الآية (٢).

(٣) سورة فصلت الآية (١٠).

أوسع وأشمل لتشكل النظام الكوني الكبير الذي هو عبارة عن سلسلة من الأنظمة المتصلة المترابطة والمتكاملة، فلكل شيء في هذا الكون ناموسه وسننه من الذرة إلى المجرة، قال تعالى: ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾(١).

فالأنظمة جزء من الاتزان البيئي، حيث يبدأ هذا الاتزان من الذرة التي تتشكل وتعمل وتسير بنظام، فالنواة هي المحور الذي يدور حوله الإلكترونات في مدارات دقيقة وترتبط بروابط قوية تبدأ بالنواة، ثم ترتبط النواة بالمدارات حولها بروابط، وترتبط الذرات مع بعضها البعض بنظام أكبر لتشكل العناصر، وهذه العناصر ترتبط مع بعضها البعض لتشكل المواد والمركبات، وهذه المواد ترتبط مع بعضها البعض لتشكل الأجسام، وهذه الأجسام ترتبط مع بعضها البعض لتشكل المجموعات، وهذه المجموعات ترتبط مع بعضها البعض لتشكل الأنظمة، وهذه الأنظمة هي جزء من أنظمة أكبر.

وهكذا نرى الكون عبارة عن سلسلة من الأنظمة المترابطة المتكاملة الدقيقة، وصدق الله إذ يقول: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾(٢).

فللحيوانات والنباتات أنظمتها الخاصة بها في أكلها وشربها وتكاثرها وحياتها وموتها وتعاملها مع البيئة المحيطة بها، قال تعالى: ﴿والذي قدر فهدى﴾(٣)، وقال أيضاً: ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾.

(١) سورة طه الآية (٥٠).
(٢) سورة السجدة الآية (٧).
(٣) سورة الأعلى الآية (٣).

الفرع الثالث

في الرعي المنضبط وأثره في تنمية الثروة الحيوانية

حينما يقوم الإنسان بالاستغلال الجائر للمراعي والأراضي الزراعية، فإن عمله هذا يؤدي إلى إزالة الغطاء الأخضر الذي يكسو سطح الأرض، ومن ثم تتحول التربة إلى رمال متحركة، وتصبح المراعي والمناطق الزراعية امتداداً جديداً للصحراء التي تزحف بكثبانها الرملية على هذه الأماكن، وتقضي على البقية الباقية فيها من الحرث والنسل[1].

وقد عالج المسلمون هذه المشكلة باستخدام نظام المحميات – وهو تحديد مناطق محمية يقيد فيها رعي الماشية، أو يمنع دخول الأغنام والماعز فيها، وتترك هذه المناطق لفترة زمنية معينة حتى يحصد منها العشب ويستخدم كعلف مجفف – ويهدف هذا النظام إلى حماية الكساء الأخضر من الرعي الجائر للأغنام والماشية[2].

وقد وردت نصوص قرآنية تبين إباحة الرعي وضوابطه، قال تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى. كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾[3].

وبالتأمل في الآيتين يتبين لنا:

١ – أن أسلوب الخطاب انتقل من الإخبار إلى الأمر. وهذا لا يدل على إباحة الرعي فقط وإنما يدل على أهميته الكبيرة بالنسبة للثروة الحيوانية[4].

٢ – وردت هاتان الآيتان بعد قوله تعالى: ﴿والذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى﴾، وهذا يدل على أن الله جعل لكل مادة نظاماً وناموساً متوازناً تسير فيه من الذرة إلى المجرة، ثم ربط بين هذه المواد والعناصر بنظام أكبر وتوازن أوسع وأشمل لتشكل النظام الكوني الكبير كما سبق بيانه.

فهذه الأنعام قد نظم الله كل التفاعلات الحيوية في أجسامها لتلائم ما ألهمها الله إليه من علف نباتي ولكي ينمو لحمها ويتكون حليبها أو بيضها ملائماً تماماً لنظام

---

(١) البيئة لمحمد الفقي ص ٢٠٢.

(٢) دور الإسلام في حماية البيئة الصحراوية ص ٧١.

(٣) سورة طه الآية (٥٣ – ٥٤).

(٤) تفسير القرطبي ١١ (١٤٠ – ١٤١).

الفعاليات الحيوية في الإنسان، وأن الإخلال بهذا الميزان إخلال بالتوازن البيئي في كثير من الحلقات[١].

٣ - في الآية تعبير ﴿أزواجاً من نبات شتى﴾ وفيه إشارة قوية إلى تنويع مصادر التغذية للحيوان سواء بالرعي أو بتهيئة العلف، وكلمة الأزواج قد تشير إلى التكامل الذي يتم بالمزاوجة بين محصول وآخر عند إعداد العلف، فعلى سبيل المثال بروتين الحبوب منخفض في قيمته الحيوية بسبب نقص الحامض الأميني اللايسين، فترتفع هذه القيمة عند مزاوجته «أي إضافته للعلف» مع أحد البقول مثل فول الصويا «المستخدم كثيراً في الأعلاف»، وهذا الأخير ينقصه الحامض الأميني الميثايونين الفائض في الحبوب، بينما يفيض في البقول الحامض الأميني اللايسين[٢].

وبهذه الزوجية يتحقق غذاءا متكاملاً للحيوان دون الحاجة إلى مصادر غير مألوفة له.

٤ - وقوله تعالى: ﴿وارعوا أنعامكم﴾ يدل على أن تنظيم عملية الرعي لأولى الأمر، وأن النهي عن الرعي الجائر وتحديد الرعي الصحيح من خصائصهم، وأن الرعي المنضبط يحقق فوائد خاصة في نمو الثروة الحيوانية، إذ أن كثرة الرعي تنتج لحماً وحليباً طيبا غير خبيث.

وقد قامت المراكز البحثية في لندن بتوعية مربى الماشية حول أهمية أعشاب المراعي في زيادة معدل إنتاج الحليب وذلك ضمن بحوث علمية رصينة[٣].

---

(١) موقف العلم المعاصر والفقه الإسلامي من تلوث المنتجات الحيوانية للدكتور/ محمد وجيه زين العابدين ص (٨). مؤتمر جامعة جرش الأهلية بالأردن.

(٢) تغذية إنسان ص ٤٦. لعبد الله محمد ذنون ط ١٩٨٨م الموصل.

(٣) مجلة أبقار وأغنام ٢٠٠٠م العدد ٢٥ ص ١١. التغذية على الأعشاب تزيد من معدل الحليب ٢٠٠٠م.

الفرع الرابع

في حماية الموارد الحيوانية

تعد الثروة الحيوانية من العناصر المهمة لاستمرار الحياة وإدامتها، فعلى هذه الثروة يتغذى الإنسان كما أن مخلفاتها تعد من العناصر التي يتغذى عليها النبات. ومن هنا فقد عني الإسلام بالمحافظة على هذه الثروة وإدامتها ومنع استنزافها وقد ظهرت عناية الإسلام بالثروة الحيوانية من خلال جملة أمور:

١ - إظهار عظم نفعها للإنسان، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد امتن على الإنسان بما خلق له من حيوانات مسخرة في خدمته وتسهيل سبل حياته، وذلك من خلال كثير من آي القرآن (سبق بيانها وتفصيلها).

فإظهار عظم فائدتها فيه لفت للأنظار إلى المحافظة عليها وتنميتها.

٢ - النهي عن الإسراف في الانتفاع بالثروة الحيوانية: لقد حرم الشرع المطهر الإسراف في كل شيء خاصة في مجال الطعام والشراب والذي تعد الثروة الحيوانية من أهم مكوناته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: " كل واشرب وتصدق من غير إسراف ولا مخيلة ".

٣ - تنمية الثروة الحيوانية وإكثارها: لاشك أن تنمية الثروة الحيوانية وإكثارها أمر مطلوب في الشريعة الإسلامية الغراء، وذلك لما في تنمية هذه الثروة وإكثارها وإدامتها من منافع يحصل عليها الجنس البشري.

ويمكن أن نتلمس في بعض النصوص ما يشهد لهذا الأصل كقوله عليه الصلاة والسلام: «في الغنم أنها بركة»[١]، وكقوله – صلى الله عليه وسلم – «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[٢].

وهذه النصوص وغيرها تدل على مدى ما يقيمه الإسلام من أهمية بالغة من تنمية للثروة الحيوانية التي يحتاج إليها الإنسان في شتى أوجه الانتفاع البشري.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده عن البراء قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (الغنم بركة) ٣٠/٢٦٠ رقم ١٧٠٩، والطبراني في الكبير ١٧/١٥٦ رقم ٤٠٤.

(٢) البخاري ٣/١٠٤٧ رقم ٢٦٩٤، مسلم ٣/١٤٩٢ رقم ١٨٧١.

الفرع الخامس

في حماية التنوع الحيواني

يقصد بالتنوع الحيواني: تعدد الأنواع النباتية والحيوانية المختلفة الموجودة في مجتمع حيوي معين، ويرتبط كل نوع بمفهوم المركز البيئي الملائم، ويعني هذا المفهوم الدور الوظيفي الذي يلعبه الكائن الحي في إطار المجتمع أو النظام البيئي[١].

فقد خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون وأودع فيه من النواميس ما يدل على حكمة الخالق وحسن صنعته، ولعل التوازن الحيوي بين كافة الأحياء في هذا الكون يعد أحد مظاهر القدرة الإلهية العظيمة واستمرار الحياة على وجه هذه البسيطة بيسر وسهولة لا يتأتى إلا من خلال المحافظة على هذا التوازن الحيوي الدقيق.

والحق أن القرآن يشير إشارات لطيفة إلى مثل هذا التوازن من خلال قوله سبحانه: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾.

ومن خلال الآيات الكثيرة التي تبين الزوجية وتحمل مفهوم التكامل بين الأحياء، ومن هذه الآيات:

١ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[٢].

٢ - وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾[٣].

٣ - وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾[٤].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه نوحاً لما قضى على قومه بالهلاك أن يحمل في سفينته من كل حيوان زوجين كي يبدأ الحياة من جديد من خلال التكاثر والتناسل. فقال تعالى:

---

(١) العلوم النباتية محاسنة: (إحسان ٢/٢٠٠ دار الشرق للنشر والتوزيع، زين الدين: حسين فرج، لطفي: رمسيس دراسات في علم الحيوان ص ٤٩. دار الفكر العربي.

(٢) سورة الرعد الآية (٣).

(٣) سورة الذاريات الآية (٤٩).

(٤) سورة النجم الآية (٤٥).

﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول﴾[1].

وفي هذا إشارة واضحة إلى أن استمرارية الحياة وديمومتها بسلاسة ويسر لا تتأثر إلا من خلال هذا التوازن المشار إليه بالزوجية.

وإذا كانت استمرارية الحياة وتحقيق المقاصد الضرورية والحاجية والتحسينية للشريعة الإسلامية لا تتأتى إلا من خلال التوازن الحيوي الدقيق فإن المحافظة على هذا التوازن وتجنب التصرفات التي تخل به يصبح من أوجب الواجبات، ومن هنا فإن إعمال القواعد الشرعية والرجوع إلى مقاصد الشريعة السمحة يسوغان تقييد الأفراد والجماعات والحد من تصرفاتهم التي تؤدي إلى استنزاف الثروة الحيوانية.

(١) سورة هود الآية (٤٠).

الفرع السادس

في الصيد الجائر

إن الإسراف في الصيد الجائر للحيوانات والطيور سبب رئيسي لإبادة أنواع شتى من الحيوانات، وتعرضها لخطر الانقراض مثل: الغزلان والمها والظباء والعصافير، ومما زاد في هذه المشكلة وساعد على انقراض الحيوانات المبيدات الحشرية التي قضت على عدد كبير من المخلوقات. والإنسان في الوقت الحاضر يتفنن في طرق الصيد الجائر، ومنها:

* - استخدام البنادق والأسلحة الأوتوماتيكية.
* - الحراب المسممة.
* - استخدام المفرقعات والسموم في صيد الأسماك والأحياء البحرية.

وبسبب غياب الوازع الديني والضمير الإنساني والأخلاقي يكون من السهل على الإنسان إهلاك الأحياء البحرية وبيعها في الأسواق بالرغم مما أصابها من تلوث قاتل. وينتج عن استخدام المتفجرات في صيد الأسماك استهلاك كمية كبيرة من الأكسجين الذائب في الماء أثناء عملية الانفجار- ويؤدي إلى نقص كمية من الأكسجين مما يسبب اختناق الكائنات البحرية وينتج عن ذلك ارتفاع درجة حرارة المياه - وتقليب الرواسب الموجودة في القاع وبالتالي تزداد التأثيرات الضارة على الكائنات البحرية[1].

ويعد الإسراف في الصيد الجائر للحيوانات والطيور سبباً هاماً من أسباب التلوث نظرا لما يترتب عنه من إخلال بالنظام البيئي الذي يقوم على حلقات متسلسلة، وثيقة الارتباط ببعضها البعض وغياب حلقة منها يحدث اضطرابا في دورتها، وينعكس ذلك على البيئة في شكل تضخم لبعض الأنواع على حساب أنواع أخرى.

لذلك حرم الإسلام التمادي في الصيد واتخاذه وسيلة للهو والترفيه مما يؤدي إلى إبادة بعض الأنواع من الحيوان الذي خلقه الله ليقوم بوظيفته في هذه الحياة، وأباح ذلك في حدود ما يكفي حاجة الإنسان دون زيادة.

---

(١) دور الإسلام في حماية البيئة الصحراوية لبدر حمد أحمد بورحمة – ص ٧٠ – ٧١.

يؤيد ذلك قول الرسول ﷺ «من قتل عصفوراً عبثاً عج أي رفع صوته بالشكوى»[1] إلى الله يوم القيامة يقول: «يارب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة». وروي عنه – صلى الله عليه وسلم – أيضاً: «أنه نهى عن قتل أربع من الحيوانات والطيور: النملة والنحلة والهدهد والصرد»[2].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فخرج لحاجته، فرأينا حمرة (أي قبرة) معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش (أي ترفرف بجناحيها)، فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناه، فقال: من حرق هذه ؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»[3].

دلت النصوص على نهي المسلمين عن قتل الحيوانات لمجرد التسلية والتلهي، وتعظيم النكير في ذلك.

ولا شك أن هذه التعاليم الشرعية تحافظ على بقاء الثروة الحيوانية واستمراريتها.

(١) سنن النسائي ٧٣/٣، وابن حبان ٢١٤/١٣ رقم ٥٨٩٤.

(٢) ابن حبان ٤٦٢/١٢ رقم ٥٦٤٦، وابن ماجه ١٠٧٤/٢.

(٣) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

المطلب الثالث
في معيار تحديد صلاحية طعام الإنسان
من اللحوم والألبان والبيض

أشار القرآن الكريم إلى معيار مهم لابد منه لتحديد صلاحية طعام الإنسان، فقال تعالى: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾[١]. يقول القرطبي: «مذهب الإمام مالك أن الطيبات هي المحللات، بينما مذهب الإمام الشافعي أن الطيبات من جهة الطعم، إلا أن اللفظة عنده ليست على عمومها، لأن عمومها بهذا الوجه من الطعم يقتضي تحليل الخمر والخنزير بل يراها مختصة فيما حلله الشرع، ويرى الخبائث لفظاً عاماً في المحرمات بالشرع وفي المتقذرات، فيحرم العقارب والخنافس والوزع وماجرى هذا المجرى»[٢].

أي أن الآية السابقة هي المدخل لتقويم طيب الطعام من خبثه، فإن تعذر تطبيقها بشكل تفصيلي خاصة في الحيوانات والطيور التي تتغذى بالنجاسات كالجلالة والدجاجة المخلاة، فإننا نبحث عن الحل في سنة رسول الله ﷺ وقد وردت عدة أحاديث في هذا الموضوع، منها:

١ - عن ابن عمر قال نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة وألبانها[٣].

٢ - عن ابن عباس أن النبي ﷺ نهى عن لبن الجلالة[٤].

٣ - عن نافع عن ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة في الإبل أن يركب عليها أو يشرب من البانها»[٥].

٤ - وعن عمر وبن شعيب عن أبيه عن جده قال نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن الجلالة عن ركوبها وأكل لحمها[٦].

٥ - وعن أبي قلابة عن زهدم قال: رأيت أبا موسى - رضي الله تعالى عنه - يأكل الدجاج فدعاني فقلت إني رأيته يأكل نتنا قال أدنه فكل فإن رأيت النبي ﷺ يأكله[٧].

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩١/٧.
(٣) سنن أبي داود رقم ٣٧٨، وهو حديث حسن.
(٤) سنن أبي داود رقم ٣٧٨٦، وهو حديث حسن.
(٥) سنن أبي داود رقم ٣٧٨٧، وهو حديث حسن.
(٦) سنن أبي داود رقم ٣٨١١، وهو حديث حسن كما ذكر العسقلاني.
(٧) خرجه البيهقي رقم ١٩٢٤٢، وأخرجه البخاري من حديث وكيع عن سفيان وأخرجاه عن أيوب رقم ١٩٢٥٠.

والمقصود بالجلالة[١]: هي البقرة التي تتبع النجاسات، كنى عن العذرة بالجلة فقيل لآكلتها جلالة، والجلة مثلثة والمشهور الكسر ثم الفتح.

وقيل: الجلالة: هي التي تأكل العذرة من الدواب والدجاج المخلاة.

وقال السرخسي[٢]: " الجلالة هي التي تعتاد أكل الجيف وغير الجيف ولا تخلط فيتعين لحمها ويكون لحمها منتناً، فحرم الأكل لأنه من الخبائث والعمل عليها لتأذي الناس بنتنها، فأما مايخلط فيتناول الجيف وغير الجيف على وجه يظهر أثر ذلك من لحمه فلا بأس بأكله والعمل عليه.

وادعى ابن حزم أنها لا تقع إلا على ذات الأربع خاصة، ثم قيل إن كان أكثر علفها النجاسة فهي، وإن كان أكثر علفها الطاهر فليست جلالة، وجزم به النووي في تصحيح التنبيه[٣].

حكم أكل الجلالة وما في حكمها:

قال ابن رشد[٤]: " لا تكون الجلالة كذلك إلا إذا غلب على طعامها أكل القاذورات وقد اختلف العلماء في حكم أكلها، وسبب اختلافهم راجع إلى معارضة القياس للأثر.

فأما الأثر فما روي ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة والبانها»[٥]. رواه الخمسة إلا النسائي. وحسنه الترمذي.

وأما القياس المعارض لهذا، فهو «أن ما يرد لجوف الحيوان ينقلب إلى لحم ذلك الحيوان وسائر أجزائه، فإذا قلنا إن لحم الحيوان حلال، وجب أن يكون لما ينقلب من ذلك حكم ما ينقلب إليه، وهو اللحم، كما لو انقلب تراباً، أو كانقلاب الدم لحماً، والشافعي يحرم الجلالة، ومالك يكرهها».

وقال القفال[٦]: إن ظهر في اللحم رائحة العذرة حرم، فإن أطعمها طعاما طاهراً حتى طاب لحمها أي زالت رائحته منه لم يكره.

---

(١) تاج العروس للزبيدي ٣٦٠/٧.
(٢) المبسوط ٢٥٥/١١.
(٣) نيل الأوطار ١٢٣/٨.
(٤) بداية المجتهد ٨٠١/١.
(٥) نيل الأوطار ١٢٣/٨.
(٦) معالم القربة في أحكام الحسبة للقرشي ص ١٧٠.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد حرمت ما يتغذى على القمامة كالخنزير بالاتفاق، أو ما يكون أكثر طعامه القمامة كالجلالة مع الخلاف بين القول بالحرمة والقول بالكراهة، فإن ذلك يفيد التنفير والتحذير من تراكم القمامة في الشوارع والطرقات، لأنها مستخبث وكل مستخبث يجب اجتنابه، وهذا يعني ضرورة المحافظة على نظافة البيئة ونظافة الأطعمة والأشربة ليصح الإنسان ويصبح قوي البنيان معافى في الروح والبدن.

ولم يكتف الإسلام بذلك بل امتد نهيه عن استعمال اللحوم والبيض والخضار والفاكهة التي تغذت أصولها بالنجاسات، فقد نهى النبي ﷺ عن أكل لحوم الإبل والدجاجة المخلاة، التي تأكل البراز من الخلاء أو من المعالف، حيث دخلت النجاسات في تركيب الأطعمة مثل الدم والحيوانات النافقة وما إلى ذلك، وقد أصبحت مزارع الدجاج في بلادنا لا تنتج إلا الدجاجة المخلاة مما يقدم لها من النجاسات من دم وحيوانات نافقة بعد جرشها وهرمونات ومركزات، وهذا يدل على استنارة أحكام الإسلام حيث بينت ضرر ذلك ولا أدل على هذا من ظهور جنون البقر والماشية في العالم الآن لأكلها الأعلاف المخلوطة بالدم والحيوانات النافقة وما إلى ذلك.

كما حرم الإسلام استخدام كل وسيلة تؤدي إلى ضرر الإنسان وتلويث بيئته من مكان وماء وهواء وغذاء، كاستخدام السموم التي تدخل في علاج وغذاء الخضار والفواكه والحبوب واللحوم، وكذلك استخدام الهرمونات التي تدخل ضمن تركيب الأغذية بحجة زيادة المحصول والإنتاج والمحافظة عليه من فتك الآفات والحشرات وما إلى ذلك من المواد المسرطنة، ويلحق بها الإشعاعات الضارة، فكل مادة يتوصل إلى إنتاجها العلم التجريبي تؤدي إلى زيادة الإنتاج وتحسينه إلا أنها تضر بصحة الإنسان يحرم الإسلام إنتاجها واستخدامها عملاً بالقاعدة الشرعية (الشيء المباح إذا أوصل فرد من أفراده إلى ضرر حرم ذلك الفرد وحده وبقي الشيء مباحاً).

المطلب الرابع

في التشريعات الوقائية لحماية الموارد الحيوانية

تقرر الشريعة الإسلامية أن المحافظة على البيئة وحمايتها من التلوث إنما هي واجب على الأفراد والجماعات والمجتمعات.

ولا يتم ذلك إلا بالالتزام والانضباط الكامل بمنهج الإسلام وتشريعاته، وأي خروج عن منهج الله في التعامل مع عناصر هذا الوجود يؤدي إلى استخدام سئ للعقل أولاً ثم إلى إفساد الصورة الجميلة التي أبدع الله الكون عليها، قال تعالى: ﴿ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون. قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾[2].

وقد وردت نصوص كثيرة تبين أهمية الموارد الحيوانية وضرورة المحافظة عليها باعتبارها عنصراً هاماً من عناصر التوازن البيئي، ومن أهم الضوابط التي وردت:

١ - حماية الغذاء من التلوث:

خير وسيلة لحماية الغذاء من التلوث والمحافظة على نظافته، هي منع حدوث التلوث وبيان خطورته على صحة الإنسان وعلى عناصر البيئة الأخرى، وهذا لا يكون إلا بإتباع قواعد الشريعة العامة التي جاءت بالحض على منع التلوث.

وقد حرم الحق تبارك وتعالى إضافة أي مادة تلوث الغذاء، أو تسممه، قال تعالى: ﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[3]، وتلوث الغذاء أياً كان نوعه صورة من صور الفساد والضرر التي نهى عنها الحق تبارك وتعالى في الآية السابقة.

ويعتبر التلوث الكيمائي للغذاء بصوره المختلفة والتي تنتج أساسا من ممارسات الإنسان اللاأخلاقية وسعيه المستمر وراء الربح بأي أسلوب، ضرباً من القتل الجماعي للبشر،

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٤١).

(٢) سورة الروم الآية (٤١ – ٤٢).

(٣) سورة البقرة الآية (٦٠).

والمشار إليه في قوله تعالى: ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾[١].

كما يعتبر بيع الأغذية الملوثة ضرراً يؤثم عليه من يقوم به أو يتسبب فيه، ويتحتم معاقبته من قبل ولي الأمر في الدولة، وذلك عملاً بقول الرسول ﷺ : «لا ضرر ولا ضرار»[٢]. رواه ابن ماجه، وبالقاعدة الفقهية التي تنص على أن: «ما أدى إلى الحرام فهو حرام»[٣].

ونستخلص مما سبق أن منع التلوث الغذائي للإنسان وللحيوان قبل حدوثه أولى من معالجته بعد حدوثه تصديقاً للقاعدة الفقهية التي تنص على أن: " درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة "[٤].

٢ - **الإسلام يحرم كثيراً من المطعومات** وخاصة تلك التي ثبت ضررها وفسادها مع أن غاية التعبد لله تعالى أن يلتزم المسلم بأوامر الله عز وجل سواء أدرك الغاية أم لم يدرك، وسواء ورد النص معللا أم غير معلل.

وقد رغبت الشريعة الإسلامية في كل طيب حلال، ورهبت عن كل مستقذر حرام، ونفرت من الأشياء الخبيثة، وأمرت باجتنابها سواء كانت مطعوماً أو مشروباً.

وهذا أصل عام من الأصول التي قامت عليها الشريعة الإسلامية، والآيات التي وردت في هذا كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات﴾[٥]. قال الطبري في تفسير هذه الآية: ﴿قل أحل لكم الطيبات أي ما ليس بخبيث منها، وهو ما لم يأت تحريمه في كتاب أو سنة أو قياس مجتهد، أو أحل لكم ما يستلذ ويشتهي عند أهل المروءة والأخلاق الجميلة﴾[٦].

---

(١) سورة المائدة الآية (٣٢).
(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام رقم (٢٣٣١) من حديث عباده بن الصامت.
(٣) الأشباه والنظائر للسبكي ١٠٥/١. ط: دار الكتب العلمية.
(٤) الأشباه والنظائر ص ٩٠.
(٥) سورة المائدة الآية (٤).
(٦) تفسير القرطبي ٥٨/٦ – ٥٩.

ومعلوم أن الأصل في الأعيان الحل لأنها خلقت لمنافع العباد، وهي كثيرة، ولهذا لم يرد حصر بها. أما الأعيان النجسة فهي مستثناة من الأصل السابق، وقد ورد النص عليها من القرآن والسنة والإجماع والقياس.

قال تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب﴾[1].

فهذه الآية تشتمل على معظم الخبائث التي حرمها الإسلام بالنسبة للطعام، فالميتة التي حرمها الإسلام تشمل ما يلي:

١ - المنخنقة : وهي التي تموت اختناقاً بأن يلف عليها حبل أو شبهه.

٢ - الموقوذة : وهي التي تضرب بعصاً أو حجر حتى الموت.

٣ - المتردية : وهي التي تموت عندما تتردى أو تسقط من مكان مرتفع.

٤ - النطيحة : وهي التي نطحتها بهيمة أخرى فماتت بالنطح.

٥ - ما أكل السبع : وهي التي أكل منها حيوان مفترس جزءا فماتت.

والحكمة من تحريم الميتة : أن أكل لحم الميتة يؤدي إلى الإصابة بأمراض كثيرة منها: السل، والجمرة الخبيثة، فضلاً عن عسر الهضم، والتسمم الغذائي، والإصابة بالديدان، والتهاب الكبد الوبائي.

ومن الخبائث التي حرمها الإسلام ونهى عن تناولها: الدم كما ورد في الآية السابقة: ويمكن رد الحكمة في تحريم الدم إلى وجود بعض السموم والفضلات في الدم، كاليوريا، وحمض البوليك، السموم التي تنتقل من الأمعاء إلى الكبد، وقد يكون فيروس التهاب الكبد الوبائي موجوداً في الدم، وبذلك تنتقل الإصابة إلى الإنسان بهذا المرض، عند تناول الدم.

وحرم الإسلام لحم الخنزير، لأنه حيوان قذر يتغذى على النجاسات والقاذورات والجيف، ولهذا أكل لحمه يتسبب في كثير من الأمراض كما أثبت العلم الحديث، أهمها: حصبة الخنزير، والإصابة بالدودة الوحيدة الشريطية، والدودة الشعرية الحلزونية[2].

وقد ذكر ابن قيم الجوزية: «أن الإسلام نهى عن بعض هذه المحرمات، لأسباب صحية وقائية بحته حيث أن الميتة تتكاثر فيها الجراثيم، والدم أيضاً سريع التلف ويتلوث

(١) سورة المائدة الآية (٣).

(٢) البيئة مشاكلها وقضاياها للفقي ص ٢٢٥ – ٢٢٦.

بسرعة بالجراثيم التي بالهواء، كما أن الخنزير من الحيوانات التي تأكل القمامة والقاذورات»[١].

٣ - تحريم الإسلام للإسراف والتبذير ودعوته إلى التوسط والاعتدال في كل شئ:

قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[٣].

دعت النصوص القرآنية إلى الاعتدال والتوسط في كل شئ، ونهت عن الإسراف وحرمته لأنه يتناقض مع مبدأ الاعتدال والوسطية في الإسلام.

نهى الإسلام عن الإسراف في الانتفاع بالثروة الحيوانية خاصة في مجال الطعام والشراب والذي تعد الثروة الحيوانية من أهم مكوناته، فقال تعالى: ﴿وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين﴾، وقال – عليه الصلاة والسلام –: " كل واشرب وتصدق من غير إسراف ولا مخيلة "[٤]. أي في غير مجاوزة للاعتدال وفي غير تكبر.

ولا شك أن عدم الإسراف في الانتفاع بالثروة الحيوانية يؤدي إلى إدامة الانتفاع بهذه الثروة، كما يؤدي إلى المحافظة على التوازن البيئي والذي يتحقق من خلال عدم القضاء على أنواع من هذه الثروة، وهو الأمر الذي تشكو منه البشرية في أيامنا هذه وتعمل جمعيات المحافظة على البيئة في الدعوى إلى منعه[٥].

---

(١) الطب النووي ص ٢٥.
(٢) سورة البقرة الآية (١٤٣).
(٣) سورة الأعراف الآية (٣١).
(٤) المستدرك ٤/١٥٠ رقم (٧١٨٨).
(٥) من توصيات قمة الأرض في ريو سنة ١٩٩٢م.

خاتمة البحث

وتتضمن أهم نتائج البحث:

١ - للإنسان في الحيوان منافع كثيرة، منها: أنه يأكل لحمه ويشرب لبنه، ويصنع الملابس والأغطية من صوفه ووبره، ويستعمله في حمل الأثقال والمتاع من مكان إلى آخـر.

٢ - التوازن البيئي يعني: بقاء عناصر أو مكونات البيئة الطبيعية على حالها كما خلقها الله تعالى دون تغيير جوهري يذكر.

٣ - أهتم الشارع الإسلامي بالحيوان والمحافظة عليه، فأمر بعدم تجويعه أو تعذيبه أو اتخاذه غرضاً وهدفاً، كما وردت نصوص كثيرة تدعو إلى الرفق به.

٤ - لفتت النصوص القرآنية نظر الإنسان إلى البعد الجمالي لمظاهر البيئة ومظاهر التوازن البيئي، وطلبت منه الاستمتاع بهذا الجانب.

٥ - من صور التوازن البيئي في الإسلام أن الله خلق المواد والعناصر بمقادير محددة ونسب دقيقة، وخلق كل شئ بقدر وحساب.

٦ - نهى الإسلام عن الرعي الجائر، وجعل عملية تنظيم الرعي وتحديد ضوابطه لأولي الأمر، إذ أن الرعي المنضبط يحقق فوائد كبيرة في نمو الثروة الحيوانية.

٧ - التوازن الحيوي بين كافة الأحياء يعد أحد مظاهر القدرة الإلهية العظيمة في هذا الكون.

٨ - الإسراف في الصيد الجائر للحيوانات والطيور سبب رئيسي لإبادة أنواع شتى من الحيوانات، وتعرضها لخطر الانقراض.

٩ - أحل الإسلام طيب الطعام من الحيوانات والطيور التي تتغذى على المباح، وحرم التي تتغذى بالنجاسات كالجلالة والدجاجة المخلاة.

١٠- وردت تشريعات وقائية كثيرة لحماية الموارد الحيوانية منها: حماية الغذاء من التلوث، تحريم كثير من المطعومات التي ثبت ضررها وفسادها، دعوة الإسلام إلى التوسط والاعتدال ، وحرم الإسراف والتبذير في كل شئ.

فهرس المراجـــع

١. الأشباه والنظائر للسيوطي، دار إحياء الكتب العربية
٢. بداية المجتهد ، لابن رشد، دار الجيل
٣. البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، لمحمد عبد القادر الفقي، مكتبة ابن سينا بالقاهرة
٤. تاج العروس للزبيدي، دار ليبيا – بنغازي
٥. التفسير الكبير للفخر الرازي، دار الكتب العلمية – بيروت
٦. تفسير البيضاوي، للبيضاوي (ت ٦٩١هـ) دار الكتب العلمية – بيروت
٧. تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي
٨. تفسير فتح البيان، لصديق حسن خان، دار الفكر العربي
٩. الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي – دار الكتاب العربي – بيروت
١٠. جامع الأصول، لابن الأثير – دار إحياء التراث العربي
١١. حاشية رد المحتار، لابن عابدين – ط :١٣٢٦هـ
١٢. دور الإسلام في حماية البيئة الصحراوية، لبدر أحمد أحمد بورحمة – جامعة الكويت ١٩٨٥م.
١٣. سنن البيهقي ، للبيهقي – مكة المكرمة ١٩٩٤م
١٤. سنن ابن ماجة – عيسى البابي الحلبي
١٥. سنن الترمذي، للترمذي (ت ٢٧٩هـ) – دار إحياء التراث
١٦. سنن أبي داود، مصطفى البابي الحلبي
١٧. سنن النسائي – المكتبة العلمية
١٨. صحيح البخاري – دار المعرفة
١٩. صحيح مسلم – عيسى البابي الحلبي
٢٠. صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان (ت٣٥٤) – مؤسسة الرسالة – بيروت
٢١. فتح الباري شرح صحيح البخاري – المكتبة السلفية
٢٢. كنز العمال – مؤسسة الرسالة
٢٣. المعجم الوجيز – طبعة مجمع اللغة العربية – بمصر

٢٤. المجموع للنووي (ت ٦٧٦هـ) – دار الفكر – بيروت
٢٥. المبسوط، للسرخسي (ت٤٩٠هـ) – دار المعرفة – بيروت
٢٦. معالم القربة في أحكام الحسبة ، لابن الأخوة – دار الحديث – بيروت
٢٧. المستدرك، للحاكم – دار المعرفة بيروت
٢٨. نيل الأوطـار، للشوكاني – دار الحديث بالقاهرة